

الخطبة الأولى

الحمد لله الحليم العليم، البرّ الرحيم؛ شرع لعباده من الأعمال الصالحة ما يكرّس عبوديتهم له، وفتح لهم من أبواب الخير ما يقربهم إليه، وكرر عليهم مواسم البركة؛ ليغسلوا بها أدرانهم، ویتزودوا منها ما يكون ذخرا لهم في آخرهم، أحمده على نعمه وآلائه، وأشكره على فضله وإحسانه (وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ) وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له؛ ما تقرب إليه المتقربون بأحب إليه مما افترضه عليهم، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله؛ كان يبشر برمضان فيقول "أتاكم رمضان شهر مبارك، فرض الله عزّ وجلّ صيامه، تفتّح فيه أبواب السماء، وتغلق فيه أبواب الجحيم، وتغلّ فيه مردة الشياطين، لله فيه ليلة خير من ألف شهر، من حرم خيرها فقد حرم". صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعه إلى يوم الدين أما بعد: فاتقوا الله تعالى وأطيعوه، واستعدّوا لاستقبال شهر التقوى بملازمة التقوى فإنها من أعظم مقاصد الصيام (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ)

أيها الناس: لما خلق الله تعالى البشر جعل سبحانه من سنته فيهم التدرج، ولو شاء عز وجل لخلقهم خلقا واحدا مكتملا (وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا) أطوار في الرحم، وأطوار بعد الخروج إلى الدنيا يتدرج فيها الإنسان من طور إلى آخر (هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تَرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا) وأنت سنة التدرج في الإنسان على جميع أجزائه، حتى إن عقله ليتدرج في نموه وتتسع مداركه لاكتساب المعارف، ويتدرج في سلوكه للتخلي بالفضائل، وتكون سرعته في الترقى بحسب عزمه وهمته وعمله؛ فكلما كان عزمه أقوى، وهمته أعلى؛ فإنه يسبق أقرانه، ويدرك من كانوا أمامه.

والله سبحانه وتعالى حين شرع الشرائع للبشر فإنه عز وجل راعي سنة التدرج فيهم، فجاءت أوامره ونواهيته متدرجة؛ ليوافق الأمر الشرعي تكوينهم الخلقى، فلا يكون بينهما تنافر ولا تعارض، وهذه حكمة الحكيم العليم (الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ) إن البشر لا بد أن يؤخذوا بالتدرج في أمورهم كلها، فهم لا يستطيعون الامتناع فجأة عما ألفوا، ولا الامتثال الفوري لما لم يعتادوا، ومثال الأول: التدرج في تحريم الخمر؛ إذ نزل على أربع مراحل، ومثال الثاني: التدرج في فرض الصلاة والصيام، وكان على مراحل أيضا، وقد بين معاذ رضي الله عنه- سبب ذلك فقال: "وكانوا قوما لم يتعودوا الصيام، وكان الصيام عليهم شديدا" رواه أبو داود.

بل أعجب من ذلك أن الله تعالى بعلمه بطبيعة البشر، وحكمته في التشريع لهم؛ شرع للفرائض البدنية مقدمات تكون قبلها إذا حافظ المكلف عليها، فإنها تهينه

لها، وتعيّنه عليها، وتجعله يتلذذ بها؛ ذلك أن القلوب والأبدان تحتاج إلى ترويض وتدريب على فعل الطاعات، والكفّ عن المحرّمات، وينبغي تهيئتها لذلك حتى تجد لذة في الامتثال؛ ولنلا يكون فعل الطاعة أو الكفّ عن المحرم ثقيلًا عليها ففي الصلاة شرع الله تعالى الوضوء وجعله شرطًا لها، وشرع التبكير إلى المسجد، والمشي إليه بسكينة ووقار، والدنوّ من الإمام، وجعل ذلك من سننها، بل يحسب ذلك صلاة له، وفي الحديث "لا يزال أحدكم في صلاة ما دامت الصلاة تحبسه" رواه الشيخان كل هذه الأعمال لأجل أن يتهيأ المصلّي للفريضة فيؤديها بخشوع وطمأنينة. وحرّي بمن حافظ على هذه المقدمات للصلاة أن يجد في صلاته خشوعًا ولذة لا يجدها من فرط في مقدماتها وفي نسك الحج والعمرة يتهيأ المسلم بسفر قد يطول، ويتخذ ملابس أخرى للنسك سوى ملابسه التي اعتادها، ويلبّي في الميقات؛ إشعارًا لقلبه بالتلبس بالنسك، ويستمر مهلا في طريقه إلى مكة، فلا يدخلها إلا وقد تهيأ قلبه لأداء نسكه، وامتلاً خشوعاً لله تعالى، وشوقاً لبيته الحرام. والصيام من الأعمال البدنية، لكنه يختلف عن الصلاة والحج في كونه كفا عن المشتبهات، وليس أفعالا لها مقدمات يؤديها المكلف فتتهيئ قلبه لهذه العبادة العظيمة؛ كما هو الحال في الصلاة والحج؛ ولذا فإن كثيرا من الصائمين لا يستشعرون عظمة رمضان، ولا يحسّون بقيمة الصيام والقيام إلا بعد ذهاب بضعة أيام منه؛ لأن قلوبهم لم تنتهياً له، فلما صاموا أول أيامه، وقاموا أول لياليه؛ استشعروا ذلك بعد فوات بعضه عليهم، ومنهم من ينشط أول الأيام ثم يصيبه التعب والملل. إن سنة الله تعالى في عباده بالتدرج تأتي أن ينقلب الإنسان انقلاباً كلياً بمجرد الإعلان عن دخول الشهر، بحيث يلازم القرآن وقد كان هاجراً له، ويطيل المكث في المسجد وقد كان لا يعرفه إلا في الفريضة، ويتخلى عن فضول النظر والكلام والطعام وقد ألف ذلك واعتاده طوال العام، إنه ليس آلة يدار محركها بمجرد إهلال الهلال، بل يحتاج إلى تهيئة ورياضة تعينه على أن يستثمر كل رمضان، فلا يضيع عليه لحظة منه. إن كثيرا من الناس يحدثون أنفسهم حال دخول الشهر بانقلاب كلي في حياتهم، ويعدون ربهم سبحانه بخير يراه منهم، ويبدوون أول يوم كذلك، لكن ما يلبث القارئ أن يسأم، والماكث في المسجد أن يمل، ويتناقل المصلي خلف الإمام، ويتذرع بطول الصلاة أو كثرة الركعات أو غير ذلك، لكن العلة فيه هو؛ لأنه لم يتهيأ للشهر، ولم يعد عدته له، ولم يروض نفسه على الطاعة قبل دخوله. وكثير من الأعمال في رمضان هي أعمال بدنية تحتاج إلى صبر وتحمل، فمن دخل عليه الشهر ولم يروض نفسه لها فإنه لن يخلو من أحد حالين: إما أن يملّ من مغالبة نفسه، وقهرها على القراءة ونوافل العبادات، فينقطع عن المتسابقين، ويكتفي بالفرائض مع تقصيره فيها، ويحرم بركة رمضان وفضله، وهذا حال كثير من الصائمين إن لم يكن أكثرهم، تجد الواحد منهم في أول

رمضان يحافظ على التراويح، ويقرأ كثيرا من القرآن، ثم يمل ذلك، ويتعب من المجاهدة، فيهجر القرآن، ويتناقل عن النوافل، وربما فرط في بعض الفرائض، وأمضى أوقاته فيما يضره ولا ينفعه، حتى يمضي الشهر وهو بائس يانس خاسر. وإما أن يستمر في مجاهدة نفسه، وقهرها على القراءة والصلاة وأنواع القربات ولو لم تجد لذة لذلك؛ حتى تألف الطاعة بعد مرور أيام وليالي ضاعت عليه في مغالبة نفسه، وهذا خير من الأول. وخير منهما من لا يدخل عليه رمضان إلا وقد روض نفسه على أنواع من الطاعات، ينتظر هلاله ببالغ الصبر وغاية الشوق؛ لينال بركة الشهر، ويستثمر أوقاته، ويعرف من حسناته.

وتأملوا عباد الله حكمة الشارع الحكيم حين شرع الصيام في شعبان، حتى كان أكثر صيام النبي -ﷺ- في شعبان، وفي بعض الروايات أنه كان يصوم شعبان كله إلا قليلا منه، وفي روايات أخرى أنه صام شعبان كله. فكان الصيام في شعبان مقدمة تهئى المكلف لصيام رمضان، ومعلوم أن من أكثر الصيام في شعبان كفت عن كثير من فضول الكلام والنظر وغيرها، وأكثر من قراءة القرآن، وبكر للمساجد؛ لأن صيامه يمنعه مما كان يفعل وهو غير صائم، فلا يدخل عليه رمضان إلا وقد روض نفسه على الكف عن الحرام والفضول، وألف الصيام والقرآن وكثرة الذكر والصلاة فروضوا أنفسكم أيها المؤمنون على العبادة أياما؛ لتنعموا بلذتها في الشهر كله؛ ولتظفروا بما وعد الله تعالى فيه الصائمين القائمين، وقد قال نبينا -ﷺ- "إذا كان أول ليلة من شهر رمضان صفدت الشياطين ومردة الجن، وغلقت أبواب النار فلم يفتح منها باب، وفتحت أبواب الجنة فلم يغلق منها باب، وينادي مناد: يا باغي الخير أقبل، ويا باغي الشر أقصر، ولله عتقاء من النار وذلك كل ليلة" رواه الشيخان أقول ما سمعتم واستغفر الله لي ولكم

الخطبة الثانية:

الحمد لله حمدًا يليق بجلاله وعظيم سلطانه، نحمده على نعمه العظيمة، ونشكره على آلائه الجسيمة، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، صلى الله وسلم عليه وعلى آله ومن اهتدى بهداه إلى يوم الدين أما بعد: فإن كل عمل يريد صاحبه أن يحقق نجاحا فيه فإنه يحتاج إلى قناعة به، واستعداد نفسي له، وقدرة جسدية على تحقيقه، والتهيئة النفسية والذهنية والجسدية للعمل الصالح في رمضان قبل دخوله سبب لقوة العزم فيه، والجد في استثماره، والاجتهاد في أنواع الطاعات. ومن التهيئة النفسية إزالة ما يشغل النفس، ويقلق الفكر، والبعد عنه، فإن كان لا بد منه فيؤجل إلى ما بعد رمضان. وتعطيل المجالس والدوريات التي اعتادها الناس، وهي لا تخلوا من قيل وقال ولغو الكلام، وجعل هذا التخفيف لأجل استثمار الشهر الكريم، وإقناع النفس أن رمضان موسم إن فات الربح فيه فلا يمكن تعويضه، وأنه أيام معدودات سرعان

ما تنقضي كما انقضى في سالف الأعوام، وأنه إن أدرك هذا الرمضان فقد لا يدرك رمضان القابل، وكم في القبور من أناس صاموا رمضان الفائت! وقبل ذلك وبعده عقد العزم على البعد عن المحرمات والملهيات من فضائيات وغيرها؛ فإن مواقعة المحرم سبب للصدود عن الطاعة واستثقالها. إن هذه التهيئة النفسية تقتعه بأهمية رمضان، وخشية فوات فضله، وقد قال النبي ﷺ "رغم أنف رجل دخل عليه رمضان ثم انسلخ قبل أن يغفر له". رواه الترمذي. ومن التهيئة الذهنية الانكباب قبيل دخول الشهر على قراءة فضائل رمضان وصيامه وقيامه، وفضائل قراءة القرآن، وفضائل العشر الأخيرة، وفضائل ليلة القدر، وتدبر ما ورد في ذلك كله من الآيات والأحاديث، ومعرفة ما فيها من الفقه والعلم؛ فإن معرفة فضل ذلك تحفز النفس إلى تحصيله، وعدم إضاعة شيء منه. وللعلماء مؤلفات وأبواب في مصنفتهم أفردوها في فضل رمضان وصيامه وقيامه وليلة القدر، وجمعوا النصوص الكثيرة فيها، فحري بمن أراد أن يحفز نفسه على العمل الصالح أن يطالعها قبل دخول الشهر؛ ليكون في شوق بالغ إلى تحصيل هذه الأجور العظيمة، وليطالع حال النبي ﷺ - في رمضان، وحال سلف هذه الأمة؛ فلعله يتأسى بهم. وإذا كان التنافس بين الأسواق محمومًا، وكل سوق في مقتبل رمضان يرغب الزبائن في الشراء منه دون غيره، بإصدار قوائم بالبضائع المخفضة، والناس يختارون ما كان أقل سعرا ليوفروا شيئًا من المال، ويولون ذلك عناية فائقة، فلأن يعتني الناس بما هو أهم من ذلك أولى؛ وذلك بمطالعة ما ورد في رمضان من الأجور العظام؛ لنلا يفرطوا في شيء منها. ومن التهيئة الجسدية لاستثمار رمضان ترويض النفس قبل دخول رمضان على التبكير للمسجد، والمكث فيه طويلا قبل الصلاة وبعدها، والمحافظة على نوافل العبادات، والإكثار من الذكر وقراءة القرآن، وكثرة الصوم في شعبان؛ حتى لا يدخل رمضان إلا وقد روض نفسه على الجد في الطاعات، والمنافسة في اكتساب الحسنات. ومن التهيئة البدنية التخفف من الصوارف والمشاغل، وسرعة إنجازها قبل دخول الشهر، وتأجيل ما لا يمكن إنجازه، وتوفير ما يحتاجه البيت للصيام وللعيد قبل دخول رمضان؛ ليبتعد عن الأسواق ولغتها ومنكراتها طيلة الشهر؛ وليسلم مما يخرق صيامه؛ وليتفرغ لعبادة الله تعالى في رمضان كله، فلا يضيع منه شيئًا أبدا. ثم صلوا وسلموا على نبيكم محمد بن عبد الله كما أمركم الله بذلك في قوله (يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما) اللهم صلِّ وسلمْ وباركْ على عبدك ورسولك محمد الأمين، وعلى آله الطيبين الطاهرين، وارض اللهم عن الصحب أجمعين وعنا معهم برحمتك يا أرحم الراحمين اللهم اعز الإسلام والمسلمين اللهم اذل الشرك والمشركين ودمر أعداء الدين واجعل هذا البلد آمنا مطمئنا وسائر بلاد المسلمين اللهم وفق ولي أمرنا لما تحب وترضى وخذ بناصيته للبر والتقوى اللهم احفظ جنودنا واحمي حدودنا وآمن روعاتنا واستر عورتنا واخوننا المسلمين يارب العالمين سبحانه اللهم وبمحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك